الرحمٰن الرحيم

د. مكي الحسني(*)

تمهيد

من المعلوم أن مفردات المعجم محدودة العدد ولو بلغ مئات الآلاف، أما المعاني فلا حصر لها. يقول الجاحظ: ((المعاني كثيرة وأسماؤها قليلة)). لذا كانت قلة الألفاظ وكثرة المعاني سببًا من أسباب إنكار الترادف، لأن الترادف عكسُ تَعَدُّدِ المعنى للَّفظ الواحد؛ ذلك أن الترادف يجمع عددًا من الألفاظ على معنًى واحد، وهذا ما أدى إلى نشوء كتب ((الفروق في اللغة)) لإقامة الدليل على أن كلًّا من المترادفَيْن المزعومين ينطوي على ظلٍّ من المعنى لا يشتمل عليه رفيقه.

قال أبو هلال العسكري في كتابه ((الفروق في اللغة))[1]:

(*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق، وأمينه.

(١) أبو هلال العسكري، الفروق في اللغة/ ١٨٩، الطبعة الخامسة، دار الآفاق الجديدة، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

((الرحمٰن على ما قال ابن عباس أرقّ من الرحيم...، وعندنا أن الرحيم مبالغةٌ، لعُدُوله، وأنّ الرحمٰن أشد مبالغةً لأنه أشد عُدُولًا. وإذا كان العُدول على المبالغة، فكلما كان أشد عدولًا كان أشد مبالغة)).

أرى أنه بقوله (الرحيم مبالغةٌ لعُدوله) يعني أن (الرحيم) مَعدول عن (الراحم) للمبالغة؛ لأن من أوزان مبالغة بعض أسماء الفاعلين (فَعِيل)، فكما يقال عالم وعليم، وسامع وسميع، وشاهد وشهيد، وآلِف وأليف، يقال راحم ورحيم، وندعوه تعالى فنقول: يا أرحم الراحمين ارحمنا، فالفرق عند العسكري فرق في ((الكَمِّ)) فقط.

قال ابن خالويه: ((...لأن الرحمٰن خاصٌّ لله)). وجاء في المعجم الوسيط: ((الرحمٰن: الكثير الرحمة، وهو وصفٌ مقصورٌ على الله عَزَّ وجلَّ، ولا يجوز أن يقال لغيره)). وعلى هذا يمكن أن يقال عن إنسان إنه رحيم.

وقد تعمّق الدكتور تمّام حسّان رحمه الله في البحث عن الفرق بين معاني الرحمٰن والرحيم، فاستقرأ نصوص القرآن الكريم لاستخراج الفرق في المعنى، أخْذًا من سياق النص القرآني. وقد تبين له أن كلًّا من اللفظين مخصوصٌ باستعمالاتٍ تحدّد لكلٍّ منهما **تواردًا مع بعض الألفاظ لا يتوارد معها اللفظ الآخر**. ورأيت من المفيد أن أعراض النتائج التي توصَّل إليها الدكتور تمّام حسّان كما أوردها في كتابه ((البيان في روائع القرآن))[٢].

(٢) الدكتور تمام حسان، البيان في روائع القرآن ١/ ٢٩٤، منشورات عالم الكتب، الطبعة الثانية، سنة ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

١- الرحمٰن يُخشى منه ومن عذابه، وليس الرحيم كذلك: ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴾ [يس: ١١].

٢- والرحمٰن خالق الكون، ولا يَرِدُ الخَلْق مع الرحيم: ﴿ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴾ [الملك: ٣].

٣- والإنسان يعوذ الرحمٰن ولا يقول أعوذ بالرحيم:

﴿ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴾ [مريم: ١٨].

٤- والنَّذْر إنَّما يكون للرحمان:

﴿ فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾ [مريم: ٢٦].

٥- والشيطان يعصي الرحمٰن الذي تجب طاعته ويُخشى عذابه:

﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴾ [مريم: ٤٤].

وكذلك: ﴿ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ﴾ [مريم: ٦٩].

٦- والرحمٰن يُسجد له، ولم يُقَل ذلك في الرحيم: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴾ [الفرقان: ٦٠].

٧- ويُنسب العِباد إلى الرحمٰن ولم يُنسبوا إلى الرحيم: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ [الفرقان: ٦٣].

وكذلك: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴾ [مريم: ٩٣].

وأيضًا: ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ﴾ [الزخرف: ١٩].

٨- والرحمٰن يُملي لعباده ويمدّ لهم في الضلالة إن ضلوا: ﴿ قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ ﴾ [مريم: ٧٥].

٩- والعهد يُتّخذ عند الرحمٰن: ﴿ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴾ [مريم: ٨٧].

وكذلك: ﴿ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴾ [مريم: ٧٨].

١٠- والحَشر يوم القيامة إنما يكون إلى الرحمٰن: ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴾ [مريم: ٨٥].

١١- والرحمٰن يستوي على العرش: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥].

١٢- والربوبية للرحمان ولم تنسب إلى الرحيم: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴾ [طه: ٩٠].

١٣- وتخشع الأصوات يوم القيامة للرحمان:

﴿ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾ [طه: ١٠٨].

١٤- ولا شفاعة إلا بإذن الرحمٰن:

﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴾ [طه: ١٠٩].

وكذلك: ﴿ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ﴾ [النبأ: ٣٨].

١٥- ولا حماية لأحدٍ من الـرحمٰن:

﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ [الأنبياء: ٤٢].

١٦- والـرحمٰن يعذِّب من يشاء:

﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ [مريم: ٤٥].

١٧- والـرحمٰن هو المستعان: ﴿ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ١١٢].

١٨- والـرحمٰن له الملك: ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ﴾ [الفرقان: ٢٦].

١٩- والـرحمٰن يريد للعصاة الضـر أحيانًا:

﴿ إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا ﴾ [يس: ٢٣].

٢٠- والـرحمٰن صاحب المشيئة:

﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ﴾ [الزخرف: ٢٠].

- يؤخذ مما تقدم أن الـرحمٰن هو المتصف **برحمة الهيمنة** التي يكون لها كلُّ ما يُنسب إليها في الآيات السابقة. ولقد علمنا من السيرة النبوية ومن الاستعمال اللغوي عند العرب أن ((مُسيلمةَ الكذاب)) الذي كان يسيطر على إقليم اليمامة من أقاليم نَجْد، كان يُلقّب نفسه بلقب ((رحمان اليمامة)) أي المهيمن على هذا الإقليم.

أما الرحيم فرحمته تقترن بالتوبة والرأفة والمغفرة والودّ والبِرّ على النحو التالي:

١ – التوبة: قال تعالى:

﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ٣٧].

﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٨].

﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [التوبة: ١١٨].

﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٦٠].

٢ – الرأفة: قال تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٤٣].

﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١١٧].

﴿ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل: ٧].

﴿ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ ﴾ [الحديد: ٩].

﴿ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠].

٣– المغفرة: قال تعالى:

﴿ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٧٣].

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٨٩].

﴿ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣].

﴿ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنعام: ١٤٥].

﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأعراف: ١٦٧].

﴿ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ٩١].

٤- **الوُدّ**: قال تعالى:

﴿ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾ [هود: ٩٠].

٥- **البِرّ**: قال تعالى:

﴿ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الطور: ٢٨].

٦- ويأتي لفظ ((**الرحيم**)) في صحبة لفظ ((**العزيز**)) إمَّا في سياق **الوعد بالنصر** كما في قوله تعالى: ﴿ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الروم: ٥].

وكذلك: ﴿ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الدخان: ٤١-٤٢].

- أو في **طلب التَّوكُّل**، نحو: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [الشعراء: ٢١٧].
- أو الكلام عن **تنزيل الكتاب**، نحو: ﴿ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [يس: ٥].

أمَّا في سورة الشعراء فقد وردت صفة العزيز الرحيم عدة مرات (٩، ٦٨، ١٠٤، ١٢٢، ١٤٠، ١٥٩، ١٧٥، ١٩١) في معرض الحكم على نتائج رسالات الأنبياء عليهم السلام، وذلك على صورةٍ مُوَحَّدةٍ هي:

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الشعراء: ٨-٩]

فالعزّة هنا متعلِّقة بوجود (الآية) الدَّالة على قدرة الله. **ومعنى كل ذلك أن هناك فرقًا في المعنى** بين لفظي ((الرحمٰن)) و ((الرحيم))، على اشتراكهما في الاشتقاق والوصف بالرحمة.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁